مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 11 / العـدد:02 (جويلية 2023) ص 499– 522
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالجزائر خلال القرن 19 م

Tuat in the French colonial expansionist project in Algeria during the 19th century

عبد الكريم طهيري[1]، أ.د: حليلي بن شرقي[2]
Abdelkrim TAHIRI [1], Prof: Halili Ben Charki [2]
1 جامعة الشلف (الجزائر)، a.tahiri@univ-chlef.dz
مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف
2 جامعة الشلف (الجزائر)، halilib79@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/27	تاريخ القبول: 2023/06/16	تاريخ النشر: 2023/07/13

الملخص: تزايدت الأطماع الفرنسية الاستعمارية على إفريقيا منذ سقوط الجزائر سنة 1830 م، وبرزت بشكل لافت حتى كادت تحوله إلى صراع دولي على المناطق الأكثر أهمية واستراتيجية، ومنها منطقة توات التي تحولت إلى مسألة فرنسية تتجادبها مع أطماع الدول الأخرى، ظهرت تجلياتها منذ الرحلات الاستكشافية الأوروبية نحو الصحراء الكبرى مطلع القرن 19 م، ثم وصلت القضية إلى ذروتها حينما تحولت توات إلى ملجأ للثوار والمناهضين للاستعمار، وبلغت درجة من الخطورة أن فضحت مدى التنافس والتواطؤ الأجنبي على المنطقة.

في هذه المقالة نغوص في أهمية توات من جذورها التاريخية والاستراتيجية التي أسالت لعاب فرنسا خلال القرن 19 م ونتائجها التي آلت إليها مع بداية القرن 20 م، ونحاول من خلالها تسليط الضوء على بعض الأحداث التاريخية التي تبرز لنا التاريخ المحلي وأبعاده الوطنية والدولية.

الكلمات المفتاحية: منطقة توات، التوسع الاستعماري، الصحراء الكبرى، فرنسا، الجزائر.

Abstract:

Colonial rivalry intensified on the African interior after the fall of Algeria in 1830. This rivalry emerged remarkably and almost turned into an international conflict over the most strategically important regions, among which the region of Tuat, which turned into an international issue between the aspirants and the ambitious, these images appeared since the European explorations into the Sahara in the early 19th century. Then, it reached its climax after that Tuat became a refuge for revolutionaries and anti-colonialists.

In this paper, we delve the Tuat issue from its historical roots along the 19th century, and its results by the beginning of the 20th century. We also attempt to shed light on some historical events, which show the local history in its national and international dimensions.

Keywords: The Region of Tuat, Colonial Expansionism, Grand Sahara, France, Algeria.

المؤلف المرسل: عبد الكريم طهيري ، **الإيميل** : a.tahiri@univ-chlef.dz

1. مقدمة:

عرفت منطقة توات انفتاحاً في علاقاتها مع الدول الكبرى في فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، ورغم أنها كانت تشكل امتداداً جغرافياً وحيوياً بالنسبة للوجود العثماني بالجزائر، إلا أنها كانت لا تتعدى تلك العلاقات التجارية والثقافية، أما دول المغرب الأقصى المتعاقبة فقد جعلت منها هدفاً استراتيجياً لها، وقد تجلى ذلك خصوصاً في نهاية القرن 16 م حينما قام السعديون بحملة استعمارية توسعية على المنطقة، أخضعوا توات بمنطق القوة وارتكبوا في ڤورارة مجازر يندى لها الجبين، وكانت تلك الحملات المخزنية على المنطقة نظراً لأهميتها التجارية من جهة، وكون منطقة توات مفتاحاً وقاعدة انطلاق نحو بلاد السودان من جهة أخرى. إلاّ أنّ تلك المحاولات الحثيثة تعارضت مع رغبة التواتيين في الاستقلال ومقاومة أيّ شكل من أشكال الاحتواء، فظلّت توات لقرون عديدة محل صراع بين الاستقلالية والارتباطات الخارجية الإقليمية.

ثم بعد احتلال فرنسا لشمال الجزائر منذ 1830 م، فإن منطقة توات ونظراً لكل تلك الأهمية والأدوار التي لعبتها وتميزت بها كهمزة وصل في الصحراء الإفريقية الكبرى، فقد فضحت الصراع والأطماع الدولية على الصحراء الجزائرية والذي برزت تجلياتها مع أطراف أجنبية متعددة على غرار فرنسا وسياساتها التوسعية، حتى أضحت توات حينها ملفاً شائكاً سعت فرنسا بكل ما أوتيت من قوة لحسمه لصالحها.

في بحثنا هذا وانطلاقاً من مكانة منطقة توات وأدوارها التي أسالت لعاب الفرنسيين خلال القرن 19 م، نطرح الإشكالية التالية: لماذا اهتمت فرنسا الاستعمارية بالمنطقة على وجه التحديد؟؟ وكيف مهدت تلك الدولة لأهدافها؟؟ وفيما تجلت محطات ومظاهر اهتمامها بالمنطقة؟؟ وما النتائج والمآلات التي انتهت إليها؟؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي لسرد الأحداث والوقائع التاريخية المتعلقة بالموضوع، والذي من خلاله أيضاً نفسر ونستنتج المظاهر والمواقف حيناً والمنهج المقارن حيناً آخرا، وهدفنا الأساسي في هكذا معالجة بحثية أن نصل إلى الحقيقة التاريخية، ونسلط الضوء على تاريخ مناطقنا المحلية كروافد نضالية لهذا الوطن المفدى، وعلى هذا الأساس وضعنا فرضيات للدراسة تتناسب والخطة التي وظفناها في البحث، تعتمد على ما يلي:

1. مقدمة:
2. الأهمية الاستراتيجية لمنطقة توات
   - الموقع الجغرافي
   - الأهمية التاريخية

- الأهمية التجارية

3. أهم محطات الاهتمام الفرنسي بالمنطقة

- الرحلات والبعثات الاستكشافية
- معاهدة لالة مغنية 1845 م
- فترة لجوء الشيخ بوعمامة للمنطقة

4. الأهداف الفرنسية من توسعها نحو توات

- ربط المستعمرات الإفريقية
- مطاردة فلول المقاومة الشعبية
- الاستفادة من ثروات المنطقة
- تجسيد حلم السكك الحديدية بالصحراء

5. المواقف المحلية والدولية من الأطماع الفرنسية على توات

- ردود الفعل المحلية
- أهم المواقف الدولية

6. خاتمة:

2. الأهمية الاستراتيجية لمنطقة توات[1]:

1.2 الموقع الجغرافي:

تقع منطقة توات في أقصى الجنوب الغربي للجزائر، بين خطي طول 4° غرباً إلى 1° شرقاً وبين خطي عرض 26°–30° شمالاً (غوغل إرث، 2022) وتنقسم إلى ثلاثة جهات رئيسية وهي:

1.1.2 توات الوسطى:

تقع ما بين نهايات الهضبة العليا للقرارة الحافة الشرقية لوادي المسعود، ومن الجنوب هضبة مويدير وصحراء تنزروفت، فتوات الأصلية تبدأ من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رڤان (حوتية محمد، 2007، صفحة 32)، يناهز تعداد قصور الإقليم حوالي 125 قصراً تشكل بعضها مجمعات قصور كبرى على غرار العاصمة أدرار التي تعني الجبل وقد شيدتها وعمرتها الإدارة الفرنسية كمقر لها سنة 1901 م، بالإضافة إلى قصور تيمي، تمنطيط، زاوية كنتة، فنوغيل، رڤان، بودة، تسابيت.... (فرج محمود فرج، 1977، الصفحات 141–143)

2.1.2 تيديكلت[2]:

تقع هذه المنطقة في أقصى الشرق من توات، حيث تتواجد بين توات الوسطى غرباً وواد إغرغارن شرقاً، وهضبة تادمايت شمالاً ومنطقة الهقار جنوباً، وتمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة 150 كلم، وبها حوالي 45 قصراً أشهرها قصور عين صالح، إينغر، وفقارة الزوى، وأولف، وأقبلي... (مياسي ابراهيم، 2012، صفحة 453)، وكانت إلى غاية سنة 2021 جزءاً من ولاية تمنراست، وهي حالياً ولاية جزائرية باسم عين صالح أو إن صالح حسب بعض الروايات للتسمية، في حين بقيت أولف وأقبلي تابعة لولاية أدرار.

3.1.2 ڤورارة[3]:

تقع شمال توات يحيط بها العرق الغربي من جهة الشمال والغرب، ومن الشرق هضبة تادمايت وجنوباً توات الوسطى (الفاطمي محمد، 2022، صفحة 14،15) ومن الغرب أيضاً الحوض الشرقي لوادي الساورة، ويوجد الإقليم في موقع جغرافي متشابه طبوغرافياً باستثناء بعض المنخفضات التي توجد بها القصور والتي تقع في شمال الإقليم ويوجد بالإقليم سبخة تينجورارين الممتدة من الشمال إلى الجنوب وكذلك بعض الأودية الجافة مثل وادي أمقيدن. عاصمتها حالياً مدينة تيميمون التي اختلفت المصادر في تحديد معناها والأغلب أن لها علاقة بأخوين من لحمر نواحي بشار نزلا بالمنطقة، وكان أحدهما يدعى ميمون حط بمكان يدعى قوبا فأقاموا له أهل ڤورارة "أهليل"[4] وأن سيدي موسى بن مسعود[5] هو من أسس حصونها وسوقها وأطلق التسمية على سيدي ميمون (حاج أحمد الصديق، 2011، صفحة 80)، وبها حوالي 90 قصراً من الواحات الحمراء والخضراء، وهي قصور تيميمون، وأولاد سعيد، وأوقروت، ودلدول، والمطارفة، وشروين، وطلمين، وأولاد عيسى، وتينركوك، وقصر قدور. (فرج محمود فرج، 1977، الصفحات 139-141)

مما يمكن استنتاجه أنه ومن خلال موقعها الجغرافي، فإن منطقة توات بأقطارها الثلاث شكلت هلالاً خصيباً في صحراء جرداء وفسيحة، بواحاتها الغناء وقصورها العامرة، ساهم في حيويتها ذلك الموقع والارتباط الإقليمي الذي تمتعت به، فهي المنطقة التي شكلت مركزاً في الصحراء الكبرى كانت بمثابة همزة وصل بين جهاتها الأربع، وخاصةً بين شمال إفريقيا كضفة جنوبية للبحر الأبيض المتوسط وإفريقيا جنوب الصحراء.

2.2 الأهمية التاريخية:

أما من حيث الأهمية الاستراتيجية لمنطقة توات المستمدة من تاريخها، فإننا نستنتج ما يلي:

ذُكرت توات بأهميتها وصيتها، في عدة مصادر تاريخية معروفة داخل وخارج المنطقة، نذكر منهم ابن خلدون وابن بطوطة والحسن الوزان والفشتالي والأغواطي....، فقد تحدث عنها ابن خلدون بقوله "... وفواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكورارين وورڤلان" (إبن خلدون، 1981، صفحة 93)، وذكر ابن بطوطة أنه مر على قصورها بقوله "ثم وصلنا إلى بودا بضم الباء الموحدة وهي من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثير ..." (إبن

بطوطة، 1997، صفحة 279)، وأما الحسن الوزان فقد أبرز أهمية حواضر توات في قوله "تسبيت إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد مائتين وخمسين ميلاً شرق سجلماسة ومائة ميل من الأطلسي.." ثم يضيف عن قورارة فيقول "تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلاً عن شرق تسبيت، حيث يوجد ما يقرب من خمسين قصراً، وأكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل، وسكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيراً بسلعهم إلى بلاد السودان، وهنا مجمع القوافل ..." (الحسن الوزان، 1983، صفحة 133)، كما وصفها عبد العزيز الفشتالي مؤرخ السعديين المحتلين لمنطقة توات أواخر القرن 16 م فقال "... قطر توات وهو أوسع وطناً وأفسح مجالاً، وأقرب للسودان اتصالاً وجواراً، وإلى قطر تيكورارين وهو أعظم اشتهاراً وأعرف نقيباً، وأشد شوكةً وأخشن جانباً" وأضاف عن قطر توات يصف ازدهاره فقال ".. انتظم عمرانه واتصلت نخيله وتراصفت قصوره على مسافة ثلاثين مرحلة أو أكثر" (الفشتالي عبد العزيز، 1972، صفحة 73)، وأما الرحالة الجزائري ابن الدين الأغواطي فقد انبهر بقصور المنطقة في رحلته خلال النصف الأول من القرن 19 م حيث قال عنها "إن تيميمون بلدة كبيرة، ولها سوق عظيم، وفيها التمر، وفيها مياه غزيرة....، ولها سوق يباع فيه العبيد وتراب الذهب بكميات كبيرة ..."، وتكلم عن أولف فقال أيضاً "تعتبر أولف البلدة الرئيسية في واحة توات ولها نفوذ على جميع المنطقة ...، وفي غربها تقع قرية أخرى تسمى توات الحناء وتنتج هذه البلاد الحناء، والتمر بكميات وفيرة" ثم يضيف مبرزاً أهمية المنطقة تجارياً وإقليمياً فيقول "وبعد توات تأتي عين صالح في الجنوب، ثم تأتي بلاد السودان في أقصى الجنوب حيث يتردد التجار لشراء العبيد وتراب الذهب" (سعد الله أبو القاسم، 2011، صفحة 93،94). هذه المقتطفات في تلك المصادر التاريخية الهامة وتطرقها لمنطقة توات، إن دلت على شيء إنما دلت على صدى ومكانة توات الحضارية، والتي كانت بموجبها قطب وإشعاع ثقافي وتاريخي وتجاري.

كما ساهمت توات في نشر الإسلام وتلقين تعاليمه السمحة وكان الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[6] في طليعة هذا النشاط الدعوي الذي قاده انطلاقاً من المنطقة نحو شعوب السودان الغربي، حيث زار واستقر في شمال نيجيريا وسنغاي وبلاد الهوسا ومملكة كانو فكان مصلحاً دينياً واجتماعياً وسياسياً، وساهم في نشر المذهب المالكي أيضاً، ومن خلاله صارت توات حاضرة ومقصداً يحج إليها طلبة وعلماء إفريقيا جنوب الصحراء طيلة القرن 15 م وما بعده (مقلاتي عبد الله، 2009، صفحة 4.6)، وكانت أيضاً قبيلة كنتة والفلان التواتيتين من أهم القبائل التي نشطت في مجال الدعوة والتجارة بإفريقيا.

كما كان للتواتيين تأثير واسهامات كبيرة بهجراتهم إلى بلاد السودان الغربي[7]، حيث استقروا هناك أفراداً وجماعات، علماء وتجاراً، وبحكم نشاط تلك الهجرات ازداد دور التواتيين مكانة ورفعة وساهموا في ربط علاقات

وطيدة مع شعوب وحواضر إفريقيا، فعلى سبيل المثال نقلت الجماعة الكنتية الطريقة القادرية خلال القرن 17 م إلى شمال مالي حيث الأزواد وتمبكتو[8] ثم بقية السودان الغربي، كما فعل التيجانيون نفس الشيء انطلاقاً من قورارة إلى حواضر السنغال وغيرها، وقد استندت عدة دول إفريقيا على الطريقة التيجانية حتى القرن 19 م مثل دويلة الحاج اعمر ودولة الشيخو أحمدو ... (مقلاتي عبد الله، 2009، صفحة 6،7)، هذا الدور التواتي سيكون له تأثير حتى في مجابهة التوسع الاستعماري لاحقاً.

وطيلة القرن 19 م حينما ظهر الإستعمار الفرنسي من الجزائر بوابة إفريقيا، ظهرت توات ملجأ للثوار ولزعماء المقاومات الشعبية، فنظراً لجغرافيتها البعيدة عن الشمال، وطبوغرافيتها الوعرة ومناخها القاسي، فقد شكلت ملاذاً لكل ثائر ولاجيء ومتمرد، حيث كان لوقوع منطقة توات في قلب الصحراء الكبرى ميزة، جعلتها بعيدة عن أزمات منطقة شمال إفريقيا، ولم يتغير هذا الدور التاريخي إبان الحقبة الاستعمارية للجزائر، في استمرار المنطقة ملجأ للمقاومين الذين اتخذوا منها نقطة ارتكاز للراحة، وموقعاً استراتيجياً للإمداد بالعتاد والمؤن، ومهرباً آمناً للاحتماء بعد الهزيمة أو الانكسار، ومركزاً لتجميع الفلول والاستعداد مجدداً للمقاومة (رموم محفوظ، 2016، صفحة 56،57)، حيث نشطت فيها الجمعية السنوسية (واحتضنت منهم مثلاً الشريف محمد بن عبد الله السنوسي من تلمسان ما بين 1853–1859 م) واستقبلت قبيلة أولاد سيدي الشيخ في 1869 م (ومنهم مثلاً سي قدور بن حمزة)، وبوشوشة ما بين 1870–1872 م وأتباعه من الشعانبة، وأهم شخصية كان استقرار الشيخ بوعمامة فيها ما بين 1883–1894 م (فرج محمود فرج، 1977، الصفحات 8–10)، فكانت بذلك توات شوكة مزعجة للسلاطين والملوك والإمبراطوريات الاستعمارية.

3.2 الأهمية التجارية:

نظراً لتموقع منطقة توات الجغرافي، فإنها تمتعت بأهمية جيواستراتيجية كمركز عبور وسط الصحراء الكبرى تبوأت من خلاله دوراً ريادياً عبر الأزمنة المتلاحقة، تمثل في ربط المغربين الأوسط والأقصى بالسودان الغربي، وقد ازدادت أهميتها كطريق تجاري صحراوي خاصةً بعد القرن 15 م، بعد سقوط مملكة غانا التي كانت تشكل طريقاً مزدهراً عبر مراكش، وشيئاً فشيئاً أصبحت توات همزة وصل جغرافياً وتجارياً لأهم الحواضر المزدهرة كالجزائر شمالاً وتمبكتو جنوباً وغدامس شرقاً وفاس غرباً (جنيدي عبد الحميد، 2018، صفحة 41).

كما أنه وبفضل موقعها وأهميتها شكلت توات ملتقى القوافل والطرق التجارية العابرة للصحراء، نذكر منها ما توصل إليه الرحالة والباحثين والمستكشفون خلال القرن 19 م: طريق فاس–مكناس–الساورة–توات–تمبكتو، وطريق وهران–الخيثر–عين الصفراء–فيڤيڤ–واد زوزفانة–إيغلي–توات–تمبكتو أو عبر الخيثر–البيض–الأبيض سيدي

الشيخ–توات–تمبكتو، ومسلك الجزائر–الأغواط–غرداية–المنيعة–عين صالح–تمبكتو، وطريق طرابلس–غدامس–البيوض–عين صالح–توات–تمبكتو (مياسي ابراهيم، 2012، صفحة 408،409)، ومسالك أخرى كانت قائمة منذ العصور الوسطى مثل طريق تلمسان–وادي قير–عين صالح، ومسلك الجزائر–الأغواط–وادي ميزاب–المنيعة–عين صالح–تمبكتو والنيجر (مياسي ابراهيم، 2012، صفحة 418،419)، وقد ساعد الموقع والاتساع الجغرافي لمنطقة توات على هذه الأهمية الاستراتيجية حيث انفتحت أسواقها وتخصصت، وارتبطت كل جهة بنشاطات وطرق معينة، حيث كانت مثلاً قصور قورارة ترتبط بالجنوب الوهراني وقصور فيڤيڤ، وأما قصور تيديكلت فكانت تتصل مباشرة بمراكز السودان الغربي جنوباً وغدامس وطرابلس شرقاً (جنيدي عبد الحميد، 2018، صفحة 43).

كما أنها كانت معبراً مهماً للحجيج نحو البقاع المقدسة بالحجاز، حيث تميزت بأنها منطقة عبور آمنة ومزدهرة بما توفره من مؤونة وذهب رخيص للصرف ومعظم الحاجيات الضرورية للحجاج، فقد كانت تمر عبرها قوافل الحجاج من شنقيط وسجلماسة وتافيلالت. ومن الطرق الرئيسة للحج طريق فاس وتافيلالت مع توات، حيث فيها يلتقي مع طريق الحجاج القادمين من السودان الغربي، ومنها إلى عين صالح، غدامس، برقة، الإسكندرية، ثم البقاع المقدسة، أو من تسابيت، ثم أوڤروت، ثم المنيعة، ثم ميزاب، ثم ورڤلة، ومنها إلى غدامس، وكانت تستغرق هذه الرحلة سنة كاملة (جعفري مبارك، 2014).

وعلى هذا الأساس نجد اهتمامات الفرنسيين والرحالة الأوروبيين حيث أشاروا إلى أهمية منطقة توات الاستراتيجية، فهذا (بارث barth) يذكر توات في القرن 19 م أنها كانت بامتدادها الطبيعي نحو الشمال الغربي إلى تافيلالت وسجلماسة وجنوباً نحو تمبكتو وولّاته، تشكل خزاناً تجارياً كبيراً، وأنه شاهد قافلة تجارية ضخمة من توات وهي تغادر مدينة تمبكتو سنة 1853 م، ويذكرها أيضاً الكولونيل (ميرشر) في تقرير حول مهمة عن غدامس فيقول "لو ألقينا نظرة على خارطة إفريقيا نلاحظ أن الطريق الطبيعية للجزائر نحو بلاد السودان تمر عبر واحات توات، وكان هذا الطريق كثيف الحركة منذ العصر الوسيط..."، ويقول أيضاً (بول سولايي) في تقرير إلى الغرفة التجارية الفرنسية بالجزائر سنة 1874 م "لو نقيس المسافة بين توات الكبرى والمراكز التجارية بالمناطق الرئيسة الاربع نجدها متساوية إلى حد يثير الاستغراب، حيث المسافة بينها وبين الجزائر إلى الشمال تساوي المسافة بينها وبين تمبكتو إلى الجنوب، والمسافة بينها وبين طرابلس إلى الشرق تساوي المسافة بينها وبين موقادور إلى الغرب" (جعفري مبارك، 2014).

3. أهم محطات الاهتمام الفرنسي بالمنطقة:

1.3 الرحلات والبعثات الإستكشافية:

1.1.3 رحلة روني كايي René Caillé:

هذا المغامر الفرنسي انطلق في رحلة نحو السنغال سنة 1816 م، ورغم أنه لم يتلق أي دعم من أي دولة إلا أنه واصل رحلته حتى وصل إلى تمبكتو سنة 1828 م، ثم قرر الانطلاق منها نحو مدينة طنجة عبر الجنوب الغربي للجزائر، حيث مر على قصور توات وتافيلالت وقدم إلى المصالح المهتمة باحتلال الصحراء معلومات جغرافية وعرقية وثقافية واجتماعية هامة جداً، ساعدت فرنسا الاستعمارية في رسم خططها التوسعية نحو الجنوب الجزائري وكل الصحراء الإفريقية (مياسي ابراهيم، 2012، صفحة 404،405).

2.1.3 الرحالة الشهير هنري بارث Henri Barth:

دفعت رحلة (روني كايي) بريطانيا للدخول على خط التنافس لاستكشاف الصحراء التي تفصل النيجر وشمال إفريقيا، فأرسلت سنة 1836 م الرحالة (جون دافيدوس) للتوغل من المحيط الأطلسي نحو مدينة تمبكتو لكنه قُتل في تندوف، ثم استعانت بالرحالة الألماني (هنري بارث) برفقة كل من (جيمس ريشاردسون) و(أوفروانغ) في رحلة انطلقت من طرابلس سنة 1850 م، وقد وصل بارث وحده إلى مدينة تمبكتو سنة 1853 م وعاد إلى لندن سنة 1855 م بعد ترحال وتجوال مكوكي، استطاع من خلاله تقديم معلومات دقيقة عن الصحراء حث من خلالها فرنسا على أن تستحوذ على تلك المناطق وتربطها بالجزائر، وأن تحترم عقلية ومعتقدات السكان هناك (مياسي ابراهيم، 2012، صفحة 406،407).

3.1.3 محاولة الرائد Colonieu والملازم Borin:

في أواخر نوفمبر 1860 م رافق الرائد (كولونيو colonieu) والملازم (بورين borin) قافلة تجارية موسمية متعودة على التجارة ما بين منطقة سعيدة والبيض و ڤورارة وتوات، واصطحبا معهما بعض الجنود، وصلت الحملة لإقليم ڤورارة وبالضبط إلى قصور دلدول سنة 1861 م، حيث رفض ساكنة قصر بلغازي استقبالهم، ورُفضوا في تيبرغمين أيضاً، ولم يسمح سكان المنطقة باستقبال القافلة التجارية إلا إذا ابتعد الفرنسيون وهذا ما حدث فعلاً، حيث عادوا إلى تيميمون وكرروا المحاولة نحو منطقة تيمي بتوات عبر طريق آخر، لكن الأصداء كانت قد سبقتهم ورُفضوا أينما حلوا، فعادوا إلى مدينة البيض جريفيل، وباءت رحلتهم بالفشل في استكمالها، لكنها تكللت بوضع خرائط للإقليم (بخوتي عبداللطيف وآخرون، 2021، صفحة 46).

4.1.3 الرحَالة الألماني جيرهارد روهلفس Gerhard Rohlfes:

قام الرحالة الألماني (جيرهارد رولفس Gerhard Rohlfes) ما بين 1862–1867 م برحلات استكشافية للصحراء الكبرى، استعان فيها بانضمامه لفرقة اللفيف الأجنبي الفرنسي بالجزائر، حيث انطلق برحلته الأولى من تافيلالت والسوس وفيڤيڤ ثم وهران، ثم برحلته الثانية من طنجة إلى غاية وصوله لوادي الساورة وإيڤلي وبني عباس، ثم واحات توات وتيديكلت وعين صالح (مياسي ابراهيم، 2012، صفحة 416،417)، ومنها انعطف في رحلة أخرى نحو ليبيا عبر غدامس، واستطاع من خلالها جمع معلومات ثمينة عن المنطقة (جمعية سيدي سليمان بن علي، 1999، صفحة 7)، يعتبرها كثيراً من المؤرخين أهم ما استندت عليه فرنسا في أطماعها التوسعية نحو المنطقة، فهو أول من نصح فرنسا بنقل حدودها إلى غاية وادي الساورة، وإلا لن يكون هناك هدوء دائم في الجنوب الوهراني (حالة خديجة، 2019، صفحة 38).

5.1.3 الرحَالة الفرنسي بول سوليي Paul Soleillet:

نبّه هذا الرحالة إلى أهمية منطقة توات من خلال كلامه عن عين صالح، والتي وصفها بمفترق طرق حقيقي لغرب إفريقيا، وأنها تقع على مسافة متساوية بين الجزائر العاصمة وتمبكتو، كما أعطى معلومات عن منطقتي تيديكلت وتوات والقبائل والعادات والواحات فيها (**Paul Soleillet, 1877, pp. 251–253**)، وكان هذا الرحالة قد توجه في رحلته من مرسيليا عبر الجزائر العاصمة إلى عين صالح في أول انطلاقته في 16 سبتمبر 1872 م، حيث وصل إلى متليلي التي انطلق منها في 16 فيفري 1874 في بعثة تتكون من 26 شخص و10 جمال و3 خيول، لكنه لما وصل إلى عين صالح في 06 مارس 1874 أُغلقت أبواب القصبة في وجهه، فاضطر للرجوع ومع ذلك قدم معلومات هامة جداً استفادت منها سلطات الإستعمار، خاصةً حول هضبة تادمايت وضواحيها (مرجاني عبد القادر، 2020، صفحة 44،45،46).

6.1.3 جولة الملازم مارسيل بالات Marcel Palat:

كانت خطة هذا الملازم الأول القيام بجولة استكشافية من باريس نحو تمبكتو مروراً بالبيض جريفيل وڤورارة وتيديكلت، وقد استأذن فيها وزير الحربية الفرنسي (**G.charpentier ET Cie, 1886, p. 18**)، ولأنه عاصر زمن التجاء الشيخ بوعمامة لمنطقة ڤورارة، فقد زار دلدول وبقي فيها أسبوعاً كاملاً، يقول الدكتور محمد حوتية في كتابه (توات والأزواد) أن بالات أول ما وصل لمنطقة ڤورارة كان عن طريق تعنطاس في تينركوك 12 ديسمبر 1885 م، وحينما اكتشف أمره طرده الناس فواصل مسيره نحو سموطة ثم وصل دلدول أين التقى بالشيخ بوعمامة (حوتية محمد، 2007، صفحة 435)، وفي طريقه إلى عين صالح قُتل مطلع سنة 1886 في كمين لم تعرف

ملابساته بشكل واضح، حتى أن بعض منابر الصحافة بباريس اتهمت السلطات الفرنسية بالجزائر بذلك (**G.charpentier ET Cie, 1886, pp. 21-22**)، وأما عن فرنسا الرسمية فقد أبدت انزعاجها من حادثة مقتله واتهمت فيها أنصار باجودة في عين صالح، وجعلتها من بين الأسباب المباشرة لتوسعها نحو المنطقة.

7.1.3 كاميل دولس Douls Camille:

في البداية حاول المغامر (كاميل دولس Douls Camille) سنة 1886 م اجتياز منطقة الصحراء الغربية انطلاقاً من فرنسا ثم جزر الكناري والجنوب المغربي، ظناً منه أنه بتغيير مسار طريقه على خلاف الأوروبيين السابقين أنه لن يتعرض للمخاطر (**camille douls, 1888, p. 3**)، ثم أعاد الكرة سنة 1888 بدءاً بطنجة وكان هدفه اختراق الصحراء الكبرى وتقديم أسرارها ومعلوماتها لمصالح بلاده الاستعمارية، وقد تنكر أيضاً في زي مسلم، لكن أبواب قصور المنطقة أغلقت في وجهه ولقي حتفه أيضاً في ناحية تيديكلت (مياسي ابراهيم، 1996، صفحة 64).

8.1.3 بعثة فلامون G.B.Flamand[9]:

كانت البعثة العلمية للأستاذ فلامون إلى عين صالح قد انطلقت في خريف 1899 م، وأخذت طابعاً علمياً لاكتشاف منطقة تادمايت والتعرف على طبيعتها الجيولوجية والنباتية وإمكانياتها الجوفية وغيرها، وقد أشرفت عليها وزارة المعارف العمومية والمستعمرات، ودعمتها الحكومة بميزانية خاصة على إثر طلب الوالي العام (لافيريار) الذي كان مهتماً ومتشوقاً لها، وكلفت النقيب (بان Pein) رئيس المكتب العربي بورقلة بمرافقتها، ثم تدخل وزير الحرب النقيب (جرمان Germain) لحمايتها بفرقة الصبايحية من ورقلة في 28 نوفمبر 1899 م، هذه البعثة تحولت في الأخير إلى حملة عسكرية شرسة، وكانت كبداية فعلية لغزو المنطقة (مرجاني عبد القادر، 2020، صفحة 55).

وما يمكن استنتاجه من هذه الرحلات والبعثات، أن هؤلاء المغامرون كانوا من جنسيات أوروبية متعددة (فرنسيين، إنجليز، ألمان، طليان، إسبان)، ورغم غلبة الفرنسيين فيها إلا أننا نعتبرهم من مظاهر التنافس والصراع الأوروبي في الحصول على المستعمرات في إفريقيا، وكانت منطقة توات بالنسبة لهم حجر الأساس في ذلك المشروع التوسعي، لكن أغلبيتهم كانوا جزءًا من مشاريع فرنسا الاستعمارية، والغريب أن بعضاً منهم كانوا ينطلقون من الأراضي المغربية ويعودون إليها، رغم أن المخزن كان يدعي تبعية المنطقة إليه.

2.3 معاهدة لالة مغنية 1845 م:

بعد انهزام المغرب ضد فرنسا في معركة إيسلي 1844 م، رضخ المخزن[10] لشروط فرنسا في معاهدة طنجة من نفس السنة 1844 م، ثم جاءت معاهدة لالة مغنية مكملةً لها حيث تم توقيعها بين الطرفين بتاريخ 18 مارس 1845 م (البونوحي البشير، 2021، صفحة 25)، هذه الاتفاقية تطرقت لترسيم الحدود بين فرنسا في الجزائر

والدولة المغربية، والتي بموجبها تم ترسيم الحدود إلى غاية منطقة فيڤيڤ في الجنوب، وما بعدها فقد اعتبرت الإتفاقية بقية الصحراء ومنها توات أرضاً قاحلة مشاعة ليست ملكاً لأحد.

وقّع المعاهدة عن الجانب المغربي عامل وجدة احميدة بن علي الشجعي وعن الجانب الفرنسي الجنرال الكونت دو لا ري (Le général conte de la rue) وتضمنت المعاهدة 7 بنود، وكان من أهم بنودها رسم الحدود بين الدولة المغربية ومستعمرة الجزائر الفرنسية فتم الاتفاق على أن تمتد الحدود من قلعة عجرود (السعيدية حالياً) إلى ثنية الساسي، في حين بقيت المناطق الجنوبية دون تحديد للحدود بدعوى أنها أراضي خالية لا تحتاج إلى رسم وتوضيح للحدود، وقد تعمدت فرنسا عدم تحديد الحدود الجنوبية لتسهيل أطماعها التوسعية (ويكيبيديا ، 2022). وكانت تتطلع للتوسع نحو الجنوب حيث مناطق ڤورارة وتوات وتيديكلت مباشرة بعد إبرامها لهذه المعاهدة والقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر، حيث كثفت من بعثاتها الاستكشافية لهذا الغرض (بلعالم محمد باي، 2007، صفحة 3).

وبغض النظر عن معاهدة لالة مغنية فإن جميع المصادر التاريخية تعتبر المناطق الصحراوية إقليماً منفصلاً خارج سلطة الجميع، وجميع الخرائط التي تعود لفترات سابقة قبل هذا التاريخ لا تظهر امتداد دول شمال افريقيا جنوباً (دين قادة، 2017، صفحة 217)، وحسب نفس الباحث فقد أورد أن ابن خلدون والعياشي كمثالين عن المصادر التي ذكرت أن توات منذ زمن بعيد لم تكن خاضعة لتبعية أي جهة خارجية عن الإقليم (دين قادة، 2017، صفحة 218)، وأكدت هذا الكلام معاهدة لالة مغنية سنة 1845 م بعد تحديدها الحدود من الشمال إلى بداية الصحراء، وتحديد تبعية آخر القصور الصحراوية في البند 5، حيث اعتبر قصور فيڤيڤ وإيش للمغرب وقصور عين الصفراء وبوسمغون وسفيسيفة وتيوت والشلالة والأبيض للجزائر، ليأتي البند 6 ويؤكد أن "الأرض التي هي قبلة قصور الفريقين في الصحراء لا ماء فيها ولا تحتاج تحديداً لكونها أرض فلاة" (ويكيبيديا ، 2022).

ومن أخطر ما أشارت إليه المعاهدة في البند 4، أن تركت صحراء الجنوب الوهراني مشاعة ومستباحة للطرف الفرنسي والمخزني، وكلاهما كانت له أطماع توسعية فيها وعلى هذا الأساس اتفقا على أنها لا تدخل في حدود أياً منهما، حيث ورد أن أرض الصحراء لا حد فيها بين الجانبين، لكونها لا تحرث، وإنما هي مرعى فقط لعرب الإيالتين التي تنزل فيها، وتنتفع بخصبها ومائها. ولكل السلطانين التصرف في رعيته بما شاء وكيف شاء، من غير معارض إن امتازت، وإلا فمن أراد إحداث أمر في رعيته حالة اختلاطها برعية غيره، فليكف عن غير رعيته، ويحدث في رعيته ما يشاء، وأشير في نفس البند إلى التحديد الجغرافي للقبائل بينهما، حيث الأعراب الغربية: هم لمهاية وبني غيل وأولاد الشيخ الغرابة وعمور الصحراء، وحميان الجذبة، والأعراب الشرقية: هم أولاد سيدي الشيخ الشراقة وكافة حميان من غير حميان الجذبة (كرم إدريس، 2021).

3.3 فترة لجوء الشيخ بوعمامة[11] للمنطقة:

لعله ولما صارت الصحراء غير تابعة لأحد باتفاق فرنسا والمخزن في تلك المعاهدة، ظهرت ثورات أولاد سيدي الشيخ سنة 1864 م والتي كانت تشتعل حيناً وتخبو حيناً آخراً، فكان زعمائها ونشطائها يتحركون بين

الحدود الجزائرية والمغربية عند النقاط الحدودية المتفق عليها، غير آبهين بما نصت عليه معاهدة لالة مغنية سنة 1845 م لا بسلطة فرنسا ولا بسلطة المغرب وخاصةً على المناطق الجنوبية، فاستمر نشاطهم وتحركاتهم حتى وصلوا إلى توات وقورارة.

كان الشيخ بوعمامة حينها من أهم زعماء أولاد سيدي الشيخ، اضطر للإحتماء بواحة دلدول[12] مع نهاية عام 1883 م واستقر هناك إلى غاية عام 1894 م في ضيافة وصداقة القايد الحاج اعمر بن الحاج أحمد بن عبد المولى مقدم أولاد سيدي الشيخ بالمنطقة(Lacroix et De lamartiniére, 1897, pp. 385-386) ، فأسس زاويةً له وشرع في تنظيم صفوفه لمواصلة الجهاد ووقف أي توسع استعماري في أقصى الجنوب الغربي، وراسل مختلف شيوخ القبائل الصحراوية لإعلان الجهاد ضد الكفار ومقاومتهم، كما قام بتحركات سياسية تمثلت في مراسلة الحكام الفرنسيين، حتى انزعجت المغرب وفرنسا من وجوده في آن واحد، فهذا الحاكم الوالي العام لفرنسا على الجزائر (جول كامبون jules cambon) في 1891 م قال عن منطقة توات حينذاك بأنها "ملجأ للثوار، ولبوعمامة الذي التجأ إليها بحثاً عن المساعدة وتأليب القبائل ضدنا" (بخوتي عبداللطيف وآخرون، 2021، صفحة 34).

وعلى هذا الأساس حاولت فرنسا التفاوض مع الشيخ بوعمامة الذي تبادل معها ما عُرف برسائل طلب الأمان، بل وأرسلت إليه حتى بعض مفاوضيها وهو في دلدول بقورارة منهم مثلاً الملازم "مارسيل بالات" سنة 1885 م مقترحاً عليه الأمان دون شرط، لكن الشيخ بوعمامة رفض ذلك (خليفي عبدالقادر، 2014، صفحة 138)، وقُتل بعد مغادرته دلدول بين منطقة تادمايت وتيديكلت، وأرسل أيضاً مفوض فرنسا بطنجة وساطةً إلى الشيخ بوعمامة، تضمنت وثيقة الأمان من الحاكم العام جول كامبون (1891-1897) (خليفي عبدالقادر، 2010، صفحة 121)، فالشيخ بوعمامة كان بوجوده في منطقة توات قد استقطب حوله الأتباع من أولاد سيدي الشيخ والغنانمة ودوي منيع، ثم عدداً من وجهاء وقبائل توات والشعانبة من متليلي وورقلة والمواضي في المنيعة بل وحتى الطوارق بين سنتي 1887 و1890 م، خاصةً وأنهم أصبحوا تحت سلطته ولا يستمعون إلا إليه، وهم على استعداد للقيام معه بثورة مثلما فعلوا مع بوشوشة، وهو مؤشر خطير في نظر الفرنسيين، الذين دعوا صراحةً حكومتهم إلى الإستيلاء على قورارة وتوات وتيديكلت لإنشاء الإمبراطورية الإفريقية المستقبلية. (حاكمي أحمد، 2011، صفحة 117)

ومن جهة أخرى ورغم أن لجوء أولاد سيدي الشيخ وخاصةً الشيخ بوعمامة إلى منطقة توات، كان بضغط وتضييق من المخزن التي فضلت إبعاده عن فيفيف وضواحيها، إلا أن رغبة فرنسا التوسعية نحو توات واعتبار وجود الشيخ بوعمامة فيها حجةً وادعاءً لها، جعل المخزن أيضاً يدخل على خط التنافس والطموح التوسعي هناك، وقد اعتبرت بعض المصادر الفرنسية أن بوعمامة هو الذي دفع السلطان المغربي الحسن الأول إلى التحرك سياسياً ضد فرنسا، وإلى العمل على تدعيم طموحاته نحو المنطقة، ونظراً لكون السلطان كان يريد أن يقطع على الفرنسيين جميع أسباب تحقيق أطماعهم هناك، فقد كتب إلى بوعمامة رسالة يؤكد له فيها بأنه يقبل وجوده في توات وأنه مستعد لحمايته، ولكن عليه أن يلتزم الهدوء، وأن لا يقوم بأية ثورة أو حرب ضد الفرنسيين حتى لا يجدوا سبيلاً

للتدخل في توات (حاكمي أحمد، 2011، صفحة 87)، لكن وفي سنة 1891 م وبعدما اعترف القصر العلوي للشيخ بمكانته، عرض عليه الإنتقال إلى بلدة فيڤيڤ للإقتراب من زاويته الأولى في مغرار التحتاني، وكان هدف السلطان إبعاد الشيخ بوعمامة طمعاً في ضم توات لأراضي المخزن (خليفي عبدالقادر، 2010، صفحة 121)، تلك الحركة النشيطة من المراسلات بين المخزن والشيخ بوعمامة انتهت بمغادرته دلدول ما بين 1892 و1894 م متجهاً نحو بني ونيف ثم فيڤيق، مفضلاً التعاون والتحالف مع المغرب كدولة مسلمة.

4. الأهداف الفرنسية من توسعها نحو توات:

1.4. ربط مستعمراتها الإفريقية جنوب وغرب الصحراء بشمال إفريقيا:

بحكم أن منطقة توات كانت تحتل مكانة إقليمية هامة، خاصةً في إشرافها على الطرق التجارية للصحراء الكبرى، وتحكمها في مسار قوافل التجارة والحجيج، وفي ازدهارها اقتصادياً وثقافياً رغم بيئتها الصحراوية القاسية، وعلى أساس هذه المظاهر والأهم من ذلك أن فرنسا رأت في منطقة توات كمجال حيوي لها لابد أن تسيطر عليها، كي تربط مستعمراتها بغرب إفريقيا وجنوب الصحراء مع شمالها، تجسيداً لحلم الإمبراطورية الفرنسية الاستعمارية التي كانت تراها تمتد من البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، والتي لابد أن تتصل بفرنسا الأم عبر الجزائر وجنوبها، هذا الحلم عبر عنه وزير خارجيتها (ريبو) لأعضاء اللجنة التي تكفلت بمد خط السكة الحديدية جنوب عين الصفراء سنة 1891 م، عن الأهمية الاستراتيجية والأمنية لتوات بالنسبة لفرنسا، مؤكداً أن ذلك الخط يجب أن يقام بسرعة من أجل احتلال توات لأسباب أمنية واستراتيجية (غيتاوي مولاي التهامي، 2011، صفحة 57).

وكانت فرنسا تفكر منذ سنة 1848 في ربط الجزائر بالسنغال ربطاً برياً، فنظمت رحلات استكشافية لذلك، ودرست إمكانية إنشاء خط سكك حديدي بين الجزائر والسنغال عبر أعالي السودان (بريك الإمام، 2019، صفحة 3)، وحتى سنة 1880 كانت فرنسا تسيطر على 03 مناطق من إفريقيا وهي الجزائر والسنغال والغابون، ولما كانت قد بدأت توسعها نحو الجنوب الغربي للجزائر، زادت رغبتها في التوسع نحو السودان الغربي (بريك الإمام، 2019، صفحة 9)، ولعلها على هذا الأساس دشنت حملتها الاستعمارية التوسعية في البلدان المطلة على الصحراء الكبرى تباعاً، في كل من مالي 1857 وتشاد 1895 والنيجر 1897 (بويه عبد القادر، 2020، صفحة 43).

ثم ما فتأت وأن استمرت انطلاقاً من منطقتي توات وقورارة في توسعها الاستعماري نحو منطقة الساورة سنة 1903، مستكملةً مشروعها عن طريق البعثات الاستكشافية والطوابير العسكرية، رغم أنها اصطدمت بمقاومة محلية عنيفة (مياسي ابراهيم، 1996، صفحة 118)، إلى غاية احتلالها أيضاً لمنطقة تندوف سنة 1934 واكتمال مشروعها في الربط بين مستعمراتها (مياسي ابراهيم، 2012، صفحة 558).

2.4. مطاردة فلول المقاومة الشعبية وقياداتها:

حيث أدركت فرنسا أن جنوب الجزائر وخاصةً منطقة توات، قد تحولت إلى قاعدة خلفية للثوار ورجال المقاومة، فقد لجأ إليها الشريف بوشوشة والسي زوبير والشيخ بوعمامة، ووجدوا كل الدعم والمساندة من ناس المنطقة، حتى أن الرحالة الألماني (جيرارد رولف) كتب ينصح فرنسا بعد وصوله إلى توات سنة 1864 قائلاً "... قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة، فمن هناك بالضبط تبدأ كل المصاعب وكل الفوضى ما دام الفرنسيين لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، لن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران .." (بويه عبد القادر، 2020، الصفحات 44–45).

وقد تطرقنا إلى هذا العنصر أيضاً ضمن المحطات التمهيدية، بحيث كان الشيخ بوعمامة مثلاً شغل فرنسا الشاغل في كل منطقة الجنوب الغربي للجزائر، ولما تنقل هذا الأخير بزمالته إلى منطقة توات واحتمى فيها بأهلها بين سنتي 1883–1894 وعلمت به فرنسا، كثفت معه مراسلاتها عارضةً عليه الأمان والتفاوض تارةً، والانسحاب من المنطقة تارةً أخرى، حتى يخلو لها المجال في سياستها التوسعية التي يبدو أن الشيخ بوعمامة كان يعيقها.

3.4. الإستفادة من ثروات المنطقة:

من خلال تلك البعثات الإستكشافية والدراسات الجيولوجية التي قامت بها فرنسا، تبين أن منطقة توات تحتوي على معادن كثيرة ومتنوعة، تحتاجها فرنسا في ثورتها الصناعية، ذلك أن منطقة توات اكتشفت فيها مثلاً أنواع هامة من الفحم الحجري من خلال بعثة الأستاذ (فلامون **Flamand**)، كما أشار الباحث (رولان **G.Rolland**) إلى أن المنطقة الشرقية من هضبة تادمايت وحوض واد ارارة تحتوي على مركبات من الكبريت، وهو يستعمل من طرف السكان لمداواة جلود الجمال المريضة، كما يستعمل في قصور توات لصناعة البارود، أما الذهب فقد اشتهرت به المنطقة منذ القدم بتداوله بيعاً وشراءً من السودان، كما تبين أن منطقة توات تحتوي على كميات كبيرة من معدن الحديد، من خلال ما كشفه المستكشفون أمثال (سولييه) الذي تجول في هضبة تادمايت وتعرف على حجارة حمراء تحتوي على الحديد، ومعادن أخرى كثيرة أدركت من خلالها فرنسا أن احتلالها لأقصى الجنوب الغربي بالجزائر بمثابة حجر الزاوية لطموحاتها الإستعمارية (مياسي ابراهيم، 1996، صفحة 84).

4.4. تجسيد حلم السكة الحديدية بالصحراء:

يعتبر المهندس (دي دوبونشال De Duponchel) أول من قدم دراسات سنة 1874 م عن المشروع، وأشار فيها إلى أن هذا الخط سيسمح بالتوغل داخل بلاد السودان والاستحواذ على تجارتهم وقد نشرها في كتابه سنة 1878 م، بالإضافة إلى أن وزير الأشغال العمومية الفرنسي أصدر مجلداً بعنوان "وثائق متعلقة بمهمة في الجنوب

الجزائري" للسيد المهندس السامي في المناجم الجزائرية المسمى (بويان Pouyanne)، وأهداف هذه السكة الحديدية من عبورها عبر الصحراء هي استجابة لحاجات المستعمر العسكرية لبناء الإمبراوطورية الفرنسية، وربط فرنسا في الجزائر بمستعمراتها في غرب إفريقيا، والقضاء على ثورة أولاد سيدي الشيخ المستمرة منذ 1864 م، والقضاء على تجارة القوافل التجارية العابرة للصحراء (حوتية محمد، 2007، الصفحات 467 – 468).

وقد انطلقت فرنسا في مشروعها بدءاً من وهران واستكملت المرحلة الأولى منه بوصولها إلى عين الصفراء سنة 1882 م وقد انجزت ما يقارب 455 كلم (حوتية محمد، 2007، صفحة 471)، وبقيت لها المرحلة الثانية من عين الصفراء إلى توات ثم المرحلة الأخيرة من توات إلى تمبكتو، وهذا الشطر الأخير كان مجمداً بحكم أن فرنسا لم تصل إلى توات أنذاك (بخوتي عبداللطيف وآخرون، 2021، صفحة 38).

ونظراً لأهمية منطقة توات التاريخية والتجارية في الصحراء الكبرى بإفريقيا (والتي أشرنا لها سابقاً في بداية هذا البحث)، فإن فرنسا سعت لمد سيطرتها وربط مستعمراتها الإفريقية على هذا الأساس، فتوحيد امبراطوريتها الاستعمارية كان سيمكنها من السيطرة على التجارة الصحراوية، خاصةً وأن توات كانت تمثل معبراً هاماً لتجارة القوافل وهمزة وصل بين تجارة الشمال وجنوب الصحراء (مقدم كريمة، 2021، الصفحات 577–578).

لقد كانت اهتمامات الفرنسيين والرحالة الأوروبيين تشير إلى تلك الأهمية الاستراتيجية، فهذا (بارث barth) يذكر توات في القرن 19 م أنها كانت بامتدادها الطبيعي نحو الشمال الغربي إلى تافيلالت وسجلماسة وجنوباً نحو تمبكتو وولّاته، تشكل خزاناً تجارياً كبيراً، وأنه شاهد قافلة تجارية ضخمة من توات وهي تغادر مدينة تمبكتو سنة 1853 م، ويذكرها أيضاً الكولونيل (ميرشر) في تقرير حول مهمة عن غدامس، ويبرز أيضاً (بول سولايي) دورها في تقرير إلى الغرفة التجارية الفرنسية بالجزائر سنة 1874 م (جعفري مبارك، 2014).

بل ويرى باحثون أن فرنسا كانت تسعى من وراء مشروع السكة الحديدية العابر للصحراء، ربط الجزائر بمستعمراتها في غرب إفريقيا، ومواجهة الثورات الشعبية في الجنوب الغربي، والقضاء على تجارة القوافل التجارية العابرة للصحراء (حوتية محمد، 2007، الصفحات 467 – 468). والتي كانت تهدد مصالحها الاقتصادية الاستعمارية.

5 المواقف المحلية والدولية من الأطماع الفرنسية على المنطقة:

1.5 ردود الفعل المحلية:

مما يمكن استنتاجه أن مواقف أهل المنطقة كانت منذ أولى مظاهر اهتمام الفرنسيين بها رافضةً لهم، حيث تعاملوا بحذر وبطرد الرحالة الفرنسيين أحياناً وبقتلهم أحياناً أخرى، وقد رأينا تلك ردود الفعل الأولية مع رحلة

(كولونيو وبورين) سنة 1861 حيث طرده ناس دلدول وتيبرغمين وتيمي، و(بول سوليي) الذي أغلق سكان عين صالح الأبواب في وجهه سنة 1874، و(مارسيل بالات) الذي طُرد أيضاً من طرف قصور تينركوك سنة 1885 ولما واصل رحلته دفع الثمن وقُتل سنة 1886 بين منطقتي أوقروت وعين صالح، و(كاميل دولس) سنة 1888 حيث أغلقت أبواب القصور في وجهه ثم قُتل ناحية تيديكلت أيضاً، ناهيك عن دعم واحتضان أهل المنطقة للوافدين من قيادات المقاومة الشعبية إليهم.

ولما كانت أولى خطوات الغزو الفرنسي للمنطقة، بأن انطلقت بعثة (فلامون Flamand) في28 نوفمبر 1899 من مدينة ورقلة نحو عين صالح بحجة اكتشاف هضبة تادمايت علمياً، تحت حماية النقيب (بان Pein)، ووصلت البعثة العلمية والحملة العسكرية إلى فقارات الزوى وواحة إقسطن ومنطقة الفقيقيرة بناحية تيديكلت في 26 ديسمبر 1899 م، رفض مجلس أعيان القصر طلب النقيب (بان Pein) حول تسهيل عبور أفراد البعثة، فنشبت بينهما معركة الفقيقيرة (معركة إقسطن) كأول مواجهة محلية، ثم معركة الدغامشة وملحمة إينغر ناحية تيديكلت سنة 1900 م، ومعارك فاتيس والمطارفة وشروين وطلمين ناحية قورارة سنتي 1900 و 1901 م.

ورغم أن المقاومة المحلية لم تتوقف من قصر لآخر، لكن قصور توات تساقطت الواحدة تلو أخرى، لتفتح بعد ذلك فرنسا جبهة أخرى في 27 أفريل 1900 م أرسلت خلالها طابوراً عسكرياً ضخماً يقوده العقيد (مينسترال Menestrel) لإخضاع قصور منطقة تينقورارين شمال إقليم توات، وواجهت أيضاً مقاومة عنيفة في قصور قورارة لكنها لم تمنع القوات الفرنسية من التقدم وبذلك وضعت توات الوسطى بين فكي كماشة، من ناحية تيديكلت شرقاً وقورارة غرباً وشمالاً، ورغم أن فرنسا لم يستتب لها الأمر بمجرد انتصاراتها في معاركها الأولى طيلة سنة 1900 م، إلا أنها في السنة الموالية وشيئاً فشيئاً اكتمل احتلالها لمنطقة توات بكافة أقطارها وقصورها (بلعالم محمد باي، 2007، الصفحات 3-8).

2.5 أهم المواقف الدولية:

كانت المنافسة قوية بين الدول الأوروبية الاستعمارية على إفريقيا، وقد برزت أكثر بعد مؤتمر برلين الثاني 1884-1885 م خاصةً بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا، وقد أدت نتائج هذا المؤتمر إلى سباق محموم بين تلك الدول على مد سيطرتها نحو الداخل الإفريقي، ولما كانت فرنسا قد احتلت شمال الجزائر منذ 1830 م وانطلقت في توسعها نحو الجنوب، فإن منطقة توات ونظراً للأهمية والأدوار التي لعبتها وتميزت بها بين الحواضر الإفريقية جنوب وغرب وشمال الصحراء، فقد فضحت الصراع والتهافت الدولي على الصحراء الممتدة من

توات إلى حوض نهر النيجر، وظهر بشكل واضح خصوصاً بعد مقتل مارسيل بالات 1886 م وبناء الفرنسيين لحصن المنيعة في نفس السنة (العماري أحمد، 1984، صفحة 94).

ساهم ذلك التنافس في تسوية بين فرنسا وبريطانيا من خلال التوقيع على معاهدة في 5 أوت 1890 م، أطلقت خلالها الأخيرة يد فرنسا في الصحراء الكبرى وحوض النيجر، مقابل تنازل فرنسا لبريطانيا عن حقوقها في وادي النيل (بخوتي عبداللطيف وآخرون، 2021، صفحة 34)، ذلك أن فرنسا كانت تسعى من خلال أطماعها نحو توات للربط بين ممتلكاتها في الجزائر ومستعمراتها بغرب إفريقيا، وكانت بريطانيا بمواقفها المضادة لها أكبر عقبة لها في أحلامها التوسعية، فلما تدخلت بريطانيا عسكرياً في مصر سنة 1882 م استغلت فرنسا ورقة علاقاتها مع المصريين منذ حملة نابليون وعهد محمد علي باشا، ولتجنب الصدام بين الدولتين فقد تم عقد اتفاق لندن بينهما في 5 أوت 1890 م، تم بموجبه تنازل فرنسا عن حقوقها في وادي النيل مقابل اعتراف بريطانيا لفرنسا بموجب الفصل الثاني في المعاهدة بحقوقها في توات (غيتاوي مولاي التهامي، 2011، صفحة 92)، وعلى إثر ذلك راسلت فرنسا بمذكرة إلى المخزن تخبره أن لها حقوقاً في توات، ودعمها في الطرح الوزير الأول البريطاني (ساليزبوري) بالتصريح الذي أدلى به في مجلس اللوردات، والذي أعلن فيه عن إعطاء بريطانيا لفرنسا حرية التصرف في توات، مؤكداً أن أي قوة عالمية لا يمكنها ادعاء أي حق في توات (العماري أحمد، 1984، صفحة 95،97).

هذه المعاهدة أتاحت لفرنسا احتلال توات والأزواد[13] والسودان الغربي والوصول حتى بحيرة تشاد، وخشي جول كامبون الوالي العام الفرنسي على الجزائر من الأطماع المغربية على منطقة توات فسارع للتخطيط لسياسة الصحراء الفرنسية 1891–1897 م، حيث بدأ في تدشين التوسع الفرنسي نحو عين صالح وتمبكتو واستولى انطلاقاً من حصن المنيعة على الطريق المؤدي إلى عين صالح سنة 1891 م، ثم ما فتأت أن انسحبت القوات الفرنسية خوفاً من ردة فعل دولية (حوتية محمد، 2007، صفحة 462). وفي 21 مارس 1899 م استطاعت فرنسا أن تضغط على بريطانيا بفضل جبهة ثلاثية (فرنسا، إسبانيا، روسيا) وتتوصل معها إلى اتفاق حول النيل الأعلى وتوات وهو الإتفاق الذي أكد وحدد بوضوح صيغة اتفاق 5 أوت 1890 م (بنعمر رشيد، 2020، صفحة 4).

وكانت إسبانيا قد أبدت انزعاجها وتخوفاتها من الأطماع الفرنسية التوسعية عبر الصحراء وإلى غاية الواجهة الأطلسية، فحاولت التحرك سنة 1887 م بعمل دبلوماسي اتجاه ألمانيا وإيطاليا وفرنسا للتعرف على مواقفهما، وحاولت فرنسا على إثر ذلك التقرب من بريطانيا لكنها فشلت في البداية قبل أن تنجح في الحيلولة بين بريطانيا والدول الأخرى من خلال اتفاق 5 أوت 1890 م (العماري أحمد، 1984، صفحة 96)، فلما حدث ذلك الاختراق

توافقت إسبانيا مع فرنسا حرصاً منها على مصالحها في المغرب، حيث أكد (كامبون) في المقابل بأن "فرنسا إذا نجحت في الدخول إلى توات... فإن إسبانيا لن تقول شيئاً"، ولجأت إيطاليا يائسةً إلى ألمانيا وبريطانيا في 07 سبتمبر 1891 م من أجل إيقاف مشروع توات في السياسة الفرنسية (غيتاوي مولاي التهامي، 2011، صفحة 94)، فكان اهتمام إيطاليا بالمسألة التواتية لتحطم بها المشروع الفرنسي حول قاعدة بنزرت، وحاولت الاعتماد على ألمانيا التي وعدتها بأنها ستدعمها في حالة قامت بحرب ضد فرنسا حول قضية توات (العماري أحمد، 1984، صفحة 100).

وبالمختصر عن المواقف الأوروبية وخاصةً بريطانيا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا، فقد تعاملت مع الغزو الفرنسي لمنطقة توات بسلبية أظهرت من خلالها عجزاً عن تكوين جبهة ضد فرنسا، فإسبانيا كانت قد وضعت يدها في مصلحة فرنسا التي ستشترك معها لاحقاً في مواقف أخرى، أما إيطاليا التي حاولت أن تتحالف مع بريطانيا وألمانيا فكل اهتمامها كان في استغلال مسألة توات للضغط بها على فرنسا في بنزرت (غيتاوي مولاي التهامي، 2011، صفحة 94،95)، وأكدت بريطانيا توافقها ودعمها لفرنسا في 21 مارس 1899 م بالمقايضة بينهما بين توات وحوض النيجر مقابل حوض النيل على ضوء ما ورد في اتفاق 5 أوت 1890 م، وأما ألمانيا فلم تكن مستعدة للتصادم مع فرنسا خاصةً بعد وضوح التوافق والتفاهم الفرنسي البريطاني (العماري أحمد، 1984، صفحة 165،166).

6 خاتمة:

المتتبع لتاريخ توات طيلة وجودها كحاضرة من حواضر الصحراء الكبرى، يلمس مدى أهمية المنطقة وتأثيرها في العلاقات بين الدول والشعوب، بما تمتعت به من وزن جغرافي وحضاري ودور ثقافي وتجاري، وخاصةً خلال فترات العصر الحديث وبداية التاريخ المعاصر، ولربما يستشف كل تلك الميزات والأدوار من خلال هذه الورقة البحثية المتواضعة، والتي أوصلتنا مضامينها المطروقة إلى أنها أسالت لعاب الطامعين من الدول والكيانات الاستعمارية، وعلى خلاف بقية مناطق الوطن الجزائري التي توسعت فيها فرنسا الاستعمارية، فإن منطقة توات صنعت قضيةً تشابكت فيها الدبلوماسية والمصالح الاستعمارية، تزامنت مع فترة ظهور مؤتمرات وتحالفات استعمارية، إلى درجة انها كادت تعصف بالسلم والأمن الدوليين في كذا مرة، ولعلها كانت أيضاً من إرهاصات وبوادر تأزم العلاقات الدولية مطلع القرن 20 م، ثم ما فتأت أن أوصلت الحركة الاستعمارية الفرنسية إلى ذروة اتساعها على مستوى الجزائر وإفريقيا.

وتتجلى قيمة هذه المقالة في النتائج المتوصل إليها، في أنها سلطت الضوء على طابو من الطابوهات التي نادراً ما تكتب عنها الأقلام أو يتناولها الإعلام، وهو موقع توات من الخارطة الإقليمية المغاربية وحقيقة وصول الاحتلال الفرنسي إليها، وطبيعة الموقف الشعبي والوطني اتجاه الأطماع الاستعمارية التي حامت حولها، بل ويمكن القول أننا في هذه الورقة البحثية قد تمترسنا –ولا فخر– بأسطر من ذهب، تكون رداً ودفاعاً على هذا الوطن المفدى ضد كثيراً من المغالطات التي لطالما كانت تلوكها بعض الألسن هنا وهناك، بالإضافة إلى أن غزو فرنسا للمنطقة لم يكن سهلاً ولا سريعاً، وقد تتبعنا كيف أنها درست المنطقة طويلاً واستكشفتها كثيراً وخططت لها بطرائق عددا، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن فرنسا كانت تخشى ردة الفعل الشعبي المحلي، وهذا ما حدث بالفعل حيث سيكتشف المتتبع للأحداث بالمنطقة مدى قوة المقاومة الشعبية في توات قبل وأثناء وبعد الغزو الفرنسي.

ولا يسعنا في نهاية هذا العمل البحثي إلا أن نحفز بعضنا على هكذا كتابات تاريخية محلية أو وطنية، من خلالها ندغدغ العواطف والفضول العلمي في الباحثين من أجل التدوين والتعريف بحقائق غائبة أو مغيبة، وفي هذا السياق نرجو الدعم والمساندة بملتقيات وطنية حول التاريخ المحلي والجهوي في ربوع الجزائر، كما نهيب بأصحاب خزائن المخطوطات والأغراض التاريخية المرجعية أن يساهموا بعرضها للدراسة والتأريخ، وكذلك القريبين من كبار السن أن يستغلوا مصادرهم الشفوية قبل أن نفقدها، وأن يُفتح الباب على مصراعيه لنقاش تاريخي جاد، بين الأجيال وفي كل مكان من وطننا الغالي، كما لا يفوتني التذكير أن كثيراً من الحقائق والمادة التاريخية الخام لا تزال معزولة ومنفية فيما وراء البحار، في المكتبات والأرشيف الفرنسي المتاح وغير المتاح، وعلى هذا الأساس نتمنى لو تسهل للباحثين مأمورية الوصول إلى هناك، سواءً بتربصات قصيرة المدى أو بعلاقات ثنائية ما بين الجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية والإدارية.

وفي الختام ومن خلال هذه المحاولة البحثية، نرجو أن تكون كتاباتنا المتواضعة انطلاقة لاكتشاف منطقة توات باجتهاد مختلف، وأن تساهم في الإجابة عن بعض الإشكاليات الغامضة عن تاريخنا المحلي والوطني، والذي قد تثمر أكثر في حالة تذليل الصعوبات وتظافر الجهود من كل الفاعلين والمهتمين، إن شاء الله.

7 التعليقات والشرح:

[1]. **توات:** تختلف الروايات حول أصل ومعنى هذه التسمية، يُرجح فيها الدكتور حاج أحمد الصديق التفسير البربري إلى كلمة "أو" التي تعني عند السكان المحليين الزناتة "بقعة مسكونة" وكعادتهم أضافوا لها مع الزمن حرف التاء في البداية والمؤخرة، ويرى Reclus أن توات اسم بربري معناه الواحة. (حاج أحمد الصديق، 2011، الصفحات 27-32)، ويقول Martin(A.G.P) أن أصلها البربري يرتبط بكلمة "oua" كمفردة وجمعها "touat"، مثل ما يقال بالبربرية المحلية "touat'n ebbou" ومعناها "الواحة". (A.G.P Martin, 1923, p. 1)

[2]. **تيديكلت:** كلمة من أصل بربري محلي تعني راحة اليد، وهي المنطقة الواقعة شرق وجنوب هضبة تادمايت، وتضم قصور عين صالح وإينغر وفقارة الزوى وأولف وتيمقطن وتيط. (بخوتي عبداللطيف وآخرون، 2021، صفحة 54)

[3]. **قورارة:** وردت في المصادر التاريخية المشهورة بتسميات مختلفة، منها تيكورارين وتينجورارين وجرارة ونحوها، وأصل التسمية من المنطوق الزناتي تعني "التجمعات". (الفاطمي محمد، 2022، صفحة 16)

[4]. **أهليل:** طابع فلكلوري إيقاعي موسيقي ينتشر في منطقة قورارة، يقصد به التهليل أو إقامة الليل، وهذا في المعنى الزناتي، وينشد فيه المديح الديني والغزل. (حاج أحمد الصديق، 2011، صفحة 80)

[5]. **سيدي موسى بن المسعود:** من نسل عبد القادر الجيلاني، قدم والده إلى المنطقة من الشلالة الشرقية عبر واد الساورة، ونشأ وتربى الإبن بناحية أولاد سعيد، وأسس زاويته بقصر تاسفاوت، يعود له الفضل في توحيد قبائل تيميمون وتأسيس مسجدها وحصنها وسوقها، وقد عاصر زمن محمد بن عبد الكريم المغيلي واختلف معه في اليهود، توفي حوالي 930هـ/1524 م. (الفاطمي محمد، 2022، الصفحات 143-145)

[6]. **محمد بن عبد الكريم المغيلي:** ولد ونشأ بنواحي تلمسان خلال القرن 15 م وارتحل إلى قورارة ثم توات حوالي 1487 م خاض فيها حرباً ضد يهود المنطقة، وواصل نشاطه الدعوي والإصلاحي في بلدان السودان الغربي، توفي في توات حوالي 909هـ/1505 م. (مقدم مبروك مقدم، 2002، الصفحات 27-126)

[7]. **السودان الغربي:** هذه التسمية كانت تطلق إلى أواخر القرن 18 م على إفريقيا الغربية جنوب الصحراء،سواء البلدان المطلة على المحيط الأطلسي، وعلى الغابات الاستوائية الكثيفة من الجنوب، والصحراء ناحية الشمال، ومنها مثلاً مالي والسنغال وبوركينافاسو والنيجر وغانا وغينيا وساحل العاج ونيجيريا وليبيريا وغيرها. (شترة خير الدين، 2010، صفحة 269)

[8]. **تمبكتو:** من حواضر الأزواد تذكر الروايات أنها لاسم امرأة سكنت ذلك المكان، يعود تأسيسها إلى الطوارق حوالي 948هـ/1087م وتقع جنوب الصحراء الكبرى على منحنى نهر النيجر، وهي الآن مدينة في شمال دولة مالي. (حوتية محمد، 2007، صفحة 40)

[9]. **فلامون:** أستاذ فرنسي مختص في الجيولوجيا، كان يدرس في المدرسة العليا للعلوم بالجزائر العاصمة، أرسلته فرنسا في بعثة علمية لإنجاز أبحاثه ودراساته حول الجنوب الجزائري في 1899 م، وكانت بعثته العلمية هي الأخطر والانطلاقة الفعلية للغزو الفرنسي بمنطقة توات. (مياسي ابراهيم، 1996، صفحة 108،109)

[10]. **المخزن:** عبارة مختصرة لنظام الدولة في المغرب والممتد طيلة عهد السعديين والعلويين، والذي ترتكز سلطاته بالأساس في شخص السلطان وأجهزته الجهوية والمحلية. (جادور محمد، 2011، صفحة 396،397)

[11]. **الشيخ بوعمامة:** هو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة، ينحدر من قبيلة أولاد سيدي الشيخ، ولد ما بين سنتي 1838 و1840 م بمنطقة فيڤيڤ وفي رواية أخرى في "فرات مستورة" بوادي زوزفانة، تربى وترعرع بين فيڤيڤ ومغرار حتى صار من رجال الدين ووجهاء المنطقة، تزعم أولاد سيدي الشيخ ضد فرنسا في ثورة امتدت من 1881 إلى وفاته سنة 1908 م، وفي إحدى مراحلها اضطر للإلتجاء إلى واحة دلدول بقورارة. (زوزو عبدالحميد، 2011، صفحة 164)

[12]. **دلدول:** واحة بين قورارة وتوات لجأ إليها الشيخ بوعمامة من 1883 إلى 1894 م، وهي بلدية حالياً تبعد عن مدينة تيميمون بحوالي 61 كلم جنوباً حسب المسافة المباشرة، وعن مدينة أدرار بحوالي 120 كلم شمالاً عبر الطريق المعبد، وبها 10 قصور. مسقط رأس صاحب المقالة.

[13]. **الأزواد:** كلمة من لغة الطوارق مشتقة من "أزوا" وهو إناء حليب دائري من الخشب، وتشمل الأزواد تلك المناطق الواقعة إلى الجنوب وراء الحدود الجزائرية، فيما يعرف اليوم بدولة مالي ويحدها شمالاً صحراء تنزروفت ومنطقة توات، وهي بذلك مجال انتقال بين الصحراء الكبرى ومناطق السودان. (حوتية محمد، 2007، صفحة 38،39)

8. المصادر والمراجع:

1. إبن بطوطة. (1997). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (الإصدار الرابع). (تحقيق: عبد الهادي التازي، المحرر) الرباط: أكاديمية المملكة المغربية.
2. إبن خلدون. (1981). العبر وديوان المبتدأ والخبر (الإصدار الأول). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
3. البونوحي البشير. (يناير, 2021). التسرب الأوروبي إلى المغرب خلال القرن 19 وبداية القرن 20 م. المجلة العربية للبحوث الأدبية والإنسانية، المجلد الأول(العدد 3).
4. الحسن الوزان. (1983). وصف إفريقيا (الإصدار الثاني، المجلد الثانية). (محمد حجي، المترجمون) بيروت: دار الغرب الإسلامي.
5. العماري أحمد. (1984). توات في مشروع التوسع الفرنسي. فاس: منشورات كلية الآداب.

6. العمراني محمد. (جوان, 2019). الجزائر والشرفاء الوزانيون في نهاية القرن 19 م. مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 10(العدد 2).
7. الفاطمي محمد. (2022). البيوتات العلمية بقورارة إبان القرنين 11 و12 هـ. الجزائر: دار صبحي للطباعة والنشر.
8. الفشتالي عبد العزيز. (1972). مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا. المغرب: مطبوعات وزارة الأوقاف.
9. بخوتي عبداللطيف وآخرون. (2021). مذكرة ماستر: الإحتلال الفرنسي لمنطقة قورارة ورد الفعل الشعبي (1900–1903). أدرار: قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أحمد دراية.
10. بريك الإمام. (2019). التنافس الاستعماري الاوروبي على إفريقيا وانعكاساته على التواصل الحضاري بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي. الوادي: جامعة الشهيد حمه لخضر.
11. بكري عبد الحميد. (2007). النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر. وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع.
12. بلعالم محمد باي. (2007). الرحلة العلية إلى منطقة توات. أدرار.
13. بنعمر رشيد. (2020). تاريخ المقاومة والحركة الوطنية بالمغرب 1956–1912 م. محاضرات في تاريخ المقاومة. مكناس، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
14. بويه عبد القادر. (2020). صفحات من تاريخ الصحراء الجزائرية "تيدكلت والهقار" (المجلد طبعة2). باتنة الجزائر: دار المثقف.
15. جادور محمد. (2011). مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب. الدار البيضاء المغرب: مؤسسة الملك عبد العزيز.
16. جعفري مبارك. (2014). منطقة توات ودورها في تجارة القوافل الصحراوية من القرن 15 إلى 19 م. الملتقى الدولي السابع حول التجارة والتجار عبر التاريخ. المنستير تونس.
17. جمعية سيدي سليمان بن علي. (1999). السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية أدرار. أدرار: مندوبية المجاهدين أدرار.
18. جنيدي عبد الحميد. (ماي, 2018). إقليم توات وأهميته في التجارة الصحراوية. المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية(العدد 5).
19. حاج أحمد الصديق. (2011). التاريخ الثقافي لإقليم توات (المجلد الثانية). الجزائر: منشورات الحبر.
20. حاكمي أحمد. (2011). تفاصيل وتحاليل عن الشيخ بوعمامة. وجدة: مطبعة الصقر.
21. حالة خديجة. (ديسمبر, 2019). التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية إقليم توات أنموذجاً. مجلة جيل العلوم الإنسانية والإجتماعية(العدد 59).

22. حوتية محمد. (2007). توات والأزواد (الإصدار الأول). الجزائر: دار الكتاب العرب.
23. حوتية محمد. (2007). توات والأزواد (الإصدار الثاني). الجزائر: دار الكتاب العربي.
24. خليفي عبدالقادر. (2010). المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
25. خليفي عبدالقادر. (01 01, 2014). خصائص مقاومة الشيخ بوعمامة والعوائق المحلية في وجهها. مجلة المرآة للدراسات المغاربية(العدد 01)، صفحة 138.
26. دين قادة. (أكتوبر, 2017). الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ. مجلة عصور الجديدة، المجلد 7(العدد 27).
27. رموم محفوظ. (30 06, 2016). الإحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية. الحوار الفكري، الصفحات 56-57.
28. زوزو عبدالحميد. (2011). محطات في تاريخ الجزائر. الجزائر: دار هومه.
29. سالمي تينهنان. (2020). المقاومة الشعبية في منطقتي تيديكلت والهقار 1881-1924. أدرار: جامعة أحمد درايعية.
30. سعد الله أبو القاسم. (2011). مجموع رحلات. الجزائر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع.
31. شترة خير الدين. (2010). الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي. أدرار الجزائر: جامعة أحمد درايعية.
32. غوغل إرث. (2022). الموقع الفلكي لمنطقة توات. تاريخ الاسترداد 22 12, 2022، من www.google.com/intl/ar/earth
33. غيتاوي مولاي التهامي. (2011). لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الإستعمار (المجلد الثانية). بيروت: دار الكتب العلمية.
34. فرج محمود فرج. (1977). إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
35. كرم إدريس. (05 11, 2021). الموقف المغربي من التحرك الفرنسي في الجنوب بين 1901 و1903 م. تاريخ الاسترداد 25 12, 2022، من صفحة هوية برس: /http://howiyapress.com/author/drisskaram/page/2
36. كرم إدريس. (18 08, 2021). معاهدة للا مغنية 1845 م. تاريخ الاسترداد 19 12, 2022، من صفحة هوية برس: /http://howiyapress.com/author/drisskaram/page/2

37. مرجاني عبد القادر. (2020). السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م. (أطروحة دكتوراه غير منشورة، المحرر) الجزائر: جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس.

38. مقدم كريمة. (03, 2021). المجاعة بتوات إبان الإحتلال الفرنسي 1945-1944 على ضوء سجلات الأحباس والتركات وفتاوى الفقهاء. مجلة عصور الجديدة، العدد2(المجلد11)، الصفحات 571-591.

39. مقدم مبروك مقدم. (2002). الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية. تلمسان: مؤسسة الجزائر كتاب.

40. مقلاتي عبد الله. (2009). علاقة إقليم توات بحواضر السودان الغربي العلاقات الثقافية وأبعادها الحضارية نموذجاً. أدرار: جامعة أحمد درايعية.

41. مياسي ابراهيم. (1996). توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1912-1881 م. الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

42. مياسي ابراهيم. (2012). الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. الجزائر: دار هومه.

43. ويكيبيديا . (21 12, 2022). الموسوعة الحرة. تم الاسترداد من موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: https://www.wikiwand.com/ar/معاهدة_للا_مغنية

44. Lacroix et De lamartiniére. (1897). Documents pour servir a l'étude du Nord Ouest African. Lille: La Maison L.Danel.

45. A.G.P Martin. (1923). Quatres Siécles d'histoire marocaine: au Sahara de 1504 à 1902, au maroc de 1894 à 1912. Paris: Lebrarie Felix Alcan.

46. camille douls. (1888). voyage dans le sahara occidental. ROUEN: Impremerie de espérance cagniard.

47. G.charpentier ET Cie. (1886). lieutenant palat journal de route et correspondance. paris: imprimerie générale a.lahure.

48. Paul Soleillet. (1877). L'Afrique Occidental e « Algarie, Mzab, Tidikelt ». Avignon: Imprimerie De F Seguin Ainé.